بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذة : حليمة واقوش

المقياس : الأسلوبية وتحليل الخطاب

السنة: الثانية ليسانس

التخصص : دراسات لغوية

النوع : محاضرة

المجموعة الرابعة

توطئة :

مر المصطلح الأسلوبي عبر الحقب الزمانية التاريخية بعدة دلالات وذلك بحسب اقترانه بعلوم أخرى مثل البلاغة والنقد واللغة ... وغيرهم من العلوم الإنسانية الأخرى

ففي مصاحبته الأساسية للبلاغة مثلا ومنهجها المعياري كانت الأسلوبية كأسلوب هو الوسيلة الوحيدة لتقنين الأسس وتحديد القيم وإبراز المفارق بين الأنواع الأدبية ثم التقويم على أن هذا العمل أدبي أو ألا أدبي .

أما في العصور الوسطى اقترن هذا المصطلح بعلم الاجتماع فارتبط بقضية الطبقة في المجتمع وتدرجها في سلم الحياة .

هذا ما جعلنا نقول أن الطبقة الغنية لها أسلوبها و الفقيرة بأسلوبها الخاص كذلك

كما أنه اقترن بعلو اللغة وركز على النسيج الداخلي للنص من خلال النظر إلى الألفاظ والعبارات

لهذا تعددت تعريفات هذا المصطلح ، لكن لا يعني أن هذه التعريفات متناقضة أو ناقصة ، بل بالعكس كل منها يخدم ما بعدها ؛ فهي بطبيعتها تعاريف تراكمية لا تبادلية ؛ أي أن اللاحق منها لا يغلي السابق تماما .

ففي الكثير من الأحيان هذه التعريفات السابقة تعتبر منطلقا للاحقة تثرها وتزيد من قوتها وحداثتها ، وهذه من طابع العلوم الإنسانية الحديثة .

مفهوم الأسلوب:

قبل التطرق والحديث عن الأسلوب أو علم الأسلوبية وتعريفاته المختلفة باختلاف اتصاله بالعلوم الإنسانية الأخرى وكذا باختلاف وجهة نظر العلماء والباحثين . ويجدر بنا الكلام عن جذور هذه الكلمة " الأسلوب " في اللغات الأوروبية وكذا العربية .

فقد اشتقت في اللغات الأوروبية من أصل لاتيني "stilus " بمعنى " ريشة " ومنها جاءت كلمة " STYLO" أي " قلم " لينتقل فيما بعد إلى مفهومات لها علاقة بطريقة الكتابة ، فارتبط في أولى خطواته بالمخطوطات ، بعدها أصبح يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية .

فمنذ أوائل الفكر الأوروبي كان يعد جزءا من " تكنيك " الإقناع هذا ما جعله يدخل في حيز " فن الخطابة ".

ففي العصر الروماني أيام خطيبهم الشهير " شيشرون " فهو " إشارة إلى طبقات اللغة المستعملة لا من قبل الشعراء بل من قبل الخطباء والبلغاء .

لهذا بقيت هذه الكلمة حتى الآن بطبيعتها عالقة إلى حد ما بكلمة " STYLE " .

مما أدى بالكثير من الدارسين والباحثين ترجيح الكفة على أن الأسلوب لاتينية لا إغريقية لأن حسب التاريخ البشري معظم مباحث الإغريق كان الشعر مادتها لا الخطابة خاصة المنطوقة .

ف" أرسطو " مثلا "يستخدم " LESCIS " أي لغة أو كلمة مقابل " TASCIS" أي نظام التي تترجم بقول أو أسلوب "

وإذا ذهبنا لشكل كلمة " STYLE" في اللغة الإنجليزية " نجده يميل إلى أصول إغريقية والتي تعني " عمودا " بدلا من الأصل اللاتيني هذا ما أكده قاموس " أكسفورد " .

أما إذا جئنا إلى الجانب العربي : فلغة الأسلوب كما ذهب إليه ابن منظور في لسان العرب يقال " للسطر من النخيل ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب ، فالأسلوب الطريق والوجهة والمذهب ، يقال أنتم في أسلوب سوء ويجمع أساليب ،والأسلوب الطريق تأخذ فيه ،والأسلوب الفن ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه " .

ويعتبر مفهوم ابن خلدون له أدق تعريفا ونظرة إذ قال في مقدمته أنه " عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي هو وظيفة الإعراب " أي النحو " ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض ، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص ... وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ،ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ، فيرصها رصا ، كما يفعل البناء في القالب والنساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص فيه وتوجد على أنحاء مختلفة ".

هذا ما ذهب إليه بالتقريب " الجاحظ " في كتابه " البيان والتبيين "حين قال :" الأسلوب هو حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام "..." فإن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا صار في قلبك أحلى ولصدرك أملا".

من هنا جاز لنا القول أن اللغة هي ثياب الفكرة والأسلوب هو التفصيل المعين لتلك الثياب ، هذا التفصيل ينظر إليه على أنه أساس قد أملاه الموضوع.

إن ما قدمه " ابن خلدون " بحديثه السابق كان أميل إلى الجانب الاصطلاحي أكثر منه إلى الجانب اللغوي حتى أنه يسبق الأوروبيون في هذا بقرون قبل دخول هذا المصطلح إلى النقد الأوروبي في العصور الوسطى .

مما يؤكد على أن علاقة بين النقد الأدبي و الأسلوب ، فالناقد لا يمكنه الفصل بين موضوع عمل أدبي معين وبين الأديب المنتج لهذا العمل أو الأثر باعتبار أن الأسلوب شخصية صاحبه وفكره المترجم في تعبيراته المختلفة .

فقد استخدم في النقد الألماني منذ أوائل القرن التاسع عشر في معجم " GRIMM " وورد لأول مرة في اللغة الإنجليزية كمصطلح عام 1846م طبقا لقاموس " أكسفورد " ودخل القاموس الفرنسي لأول مرة كمصطلح عام 1872م .

إن تعدد وتشعب تعاريف الأسلوب وعدم التمكن من توحيد هذه التعاريف أدى إلى نكرانه ونفى وجوده خاصة من قبل العالم "جراي "" GURAY" الإنجليزي المعاصر ومبرره لذلك زعمه أن مشكلة تعريفات الأسلوب وتضادها في بعض الأحيان يعني لا وجود له كنتيجة مريحة تحل هذه الإشكالية .

إلا أن بقية الدارسين والباحثين أكدوا على أن الأسلوب من أهم المقومات للعمل الأدبي والنقطة الجامعة بين اللغة كوسيلة تعبير واتصال والأدب كوسيلة إبداع وفن وتنفيس مما جهلنا نجد بعض هؤلاء الدارسين يهتمون به في هذه النقطة المشتركة .

هذا ما يقودنا إلى القول أنهم خالفوا صاحبهم " جراي " وسلموا بوجود الأسلوب بالرغم من عدم اتفاقهم على تحديد مفهوم واحد له وتحديد الإطار النظري الذي يتم دراسته في نطاقه .

فكثرة التعاريف الخاصة بالأسلوب بحكم أنها لا تتمتع بالقدرة الكاملة على الإقناع جعلت هؤلاء الدارسين والباحثين يقدمون له في كتبهم بعرض مجموعة من التعريفات إن احتاجوا إليه في دراساتهم .

فبالرغم من عجز العلماء على تحديد مفهوم واحد له إلا أنه من أهم مقومات بحوثهم اللغوية ولا يمكن التخلي عنه .

ومن أشهر هذه التعريفات ما قدمه الكونت " بيفون " " C BIFON " في خطابه إذ قال :" ...أن المعارف والوقائع والاكتشافات تتلاشى بسهولة ،وقد تنتقل من شخص لأخر ، ويكتبها من هم أعلى مهارة ، فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان ، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه ' فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ولا ينتقل ولا يتغير ".

تحدث الكونت هنا عن تأثر الإنسان بعوامل خارجية تجعله يكتب أشياء يمكن لها أن تتغير أو تزول فهي أمور طارئة عابرة تختفي في بعض الأحيان باختفاء أسبابها كما وجدناه يؤكد فيما بعد على أن الأسلوب هو شخص المؤلف من الجانب المادي والنفس وما مدى تأثره بوقائع حياته خاصة ومجتمعه عامة .

لهذا فالطبائع لا تتغير ولا تزول إنما تتأثر وتؤثر .

إلى جانب هذا التعريف هناك نظرة العالم " مارسيل بروست "" MARSEL PROUST "الشهيرة كذلك للأسلوب حيث يؤكد على أنه ليس بأية حال زينة ولا زخرف كما يعتقد بعض الناس ، كما أنه ليس مسألة " تكنيك " إنه مثل اللون في الرسم ، إنه خاصية الرؤية تكشف عن العالم الخاص الذي يراه كل منا دون سواه

أضف إلى ما فات تعريف " موريه " " MORRI "" القائل أن " ألأسلوب موقف من الوجود ، وشكل من أشكال الكينونة ، وليس في الحقيقة شيئا نلبسه ونخلعه كالرداء ولكنه الفكر الخالص نفسه والتحويل المعجز لسيء روحي إلى الشكل الوحيد الذي يمكننا به تلقيه وامتصاصه ."

لو لاحظنا التعريفات الثلاثة السابقة للأسلوب لوجدناها كلها ركزت عل الأديب أو المؤلف المبدع المرسل لرسالة معينة

فالأول يرى الأسلوب هو الإنسان نفسه ؛بمعنى المؤلف الذي يبدع ويعكس شخصه وميزاته على أثره لهذا نقول لكل أسلوبه الخاص وطريقته المميزة .

ويتضح ذلك عند العالم الثاني "مارسيل " حين قال أن الأسلوب لا زينة ولا زخرف إنما رؤية ؛ بمعنى رأي ونظرة خاصة لموقف معين في هذا العالم .

هذا ما يؤكده باحثنا الثالث " موريه " من خلال تعريفه أيضا للأسلوب حين وضع هذا الأخير في درجة الموقف ، حيث أن الأسلوب عنده يساوي الموقف أو بالأحرى الرأي .

تعريفاتهم كلها صبت في بوتقة المؤلف أثناء العملية الإبداعية مما يقودنا للقول أن الأسلوب هو " اختيار من جانب الكاتب بين بديلين في التعبير :

ـ هو قوقعة تكشف من داخلها لبا فكريا له وجود أسبق .

ـ هو محصلة خواص ذاتية متسلسلة .

ـ هو مجموعة من خواص يحب توافرها في نص ما .

ـ هو انحراف عن النمط المألوف .

ـ هو تلك العلاقات القائمة بين كليات لغوية تنتشر إلى أبعد من وجود العبارة لتستوعب النص كله .

نرى أن هذه النقاط السابقة قد جمعت كل ما يخص المؤلف ، ،بمعنى مست جميع جوانبه في عملية الإبداع .

فهو اختيا رفي التعبير وهذا يرجع لميولات المؤلف أو المبدع بصفة عامة وكذا لمدى تأثره بالحديث الذي يريد لفت الانتباه له ويرجع أيضا لمستواه الثقافي وملكاته في اللغة .

هذا ما تؤكده النقطة الثانية على أنه ـ الأسلوب ـ ملكة ولب فكر خاص ، أما النقطة الثالثة فهي قضية التأثر والخبرة والتجربة الخاصة بالمبدع ، لنأتي للفاصلة الرابعة والتي من خلالها نجد أن لكل مبدع أسلوبه أو طريقته في الإبداع تميزه عن غيره مثلها مثل التي تليها .

وآخر نقطة نلتمس فيها نوعا ما الحديث عن النص وذلك بلفتة طفيفة من خلال حديثه عن الكليات اللغوية المكونة للنص والملمة بالموضوع وبالطبع هي من اختيار المبدع بخبرته في الحياة وبتمكنه من اللغة وذلك بمستواه الثقافي وكذا بدرجة تأثره بالحدث المقصود .

إلا هناك مفاهيم وتعاريف قد ركزت على النص نفسه وذلك من خلال النظر إلى خواصه في إطار البحث الموضوعي مع وجود في المقام الثالث تعريفات تهتم بالقارئ أو المرسل إليه كمتلقي وطرف أساسي في العملية الإبداعية من خلال التركيز على قضية التأثير وردة الفعل على العمل الإبداعي

هذا ما يؤكد أن الأسلوب هو المؤلف في تأثره وذاتيته وإحساسه وخصائصه المميزة في إنتاج أعماله الإبداعية ، فهو صورة لنفسية المؤلف شاعرا كان أم كاتبا ، كما أنه نظرة القارئ للعمل الأدبي وإدراكه التفريق بين المضمون والأسلوب " المؤلف " ويخص كذلك الأثر أو العمل الأدبي وما قدمه الأديب من فنيات معينة جميلة في بناء نصه " ألفاظ ، عبارات ، صور وخيال ...".

إن هذه النظرة الثلاثية " المؤلف ، النص ، القارئ " للعلماء الشاملة لعناصر العملية الإبداعية جعلت للأسلوب عدد كبير من التعريفات المختلفة والمتنوعة .

من بين أهمها ما قدمه " بالي " " PALLE " مؤسس علم الأسلوب ، حيث يراه " يتمثل في مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع أو القارئ ، ومهمة علم الأسلوب لديه هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تلتقي لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة ".

فقد ركز في هذا التعريف على قضية التأثير الخاصة بالمؤلف والمتلقي والتي تكون بلغة تعبيرية خاصة منتقاة قائمة يفرضها في المتلقي ناقلة لخصائص وميولات المبدع " المؤلف ".

هذا ما ذهب إليه "سيدلر"SEIDLER " "حينما أعطى للمتلقي مكانة هامة ومميزة في عملية التواصل الأدبي بقوله أن الأسلوب " هو طابع العمل اللغوي وخاصيته التي يؤيدها ، وهو أثر عاطفي محدد يحدث في نص ما بوسائل لغوية وعلم الأسلوب يدرس ويحلل وينظم مجموعة الخواص التي يمكن أن تعمل في لغة الأثر الأدبي ونوعية تأثيرها والعلاقات التي تمارسها التشكيلات الفعالة في العمل الأدبي ".

كما أننا نجد نفس الاتجاه والمحتوى عند "ستاندال "في قوله عن الأسلوب " هو إضافة كل الظروف إلى فكرة معينة لإحداث كل التأثير الذي يجب أن تنتجه الفكرة المعينة ".

إن هذا التعريف بسيط إلا أنه شامل وعميق في أبعاده وأغراضه .

فالطريقة مقصود بها الميزة و الأسلوب الخاص بكل مؤلف في التعبير ؛ بمعنى في وسائله اللغوية من ألفاظ وعبارات وتراكيب وحتى خيال ومحسنات ، أما إذا جئنا لقضية الفكر وجدناه عقل المؤلف وآرائه الخاصة التي يغذيها بتأثيراته وانفعالاته إيزاء حدث ما

هذه الأفكار وهذه التأثيرات والانفعالات بتعابيرها الخاصة والمميزة لا تبرز للقارئ أو المتلقي إلا من خلال أثر أدبي معين لا يظهر للوجود إلا من خلال اللغة وسيلة التواصل مابين المبدع والمتلقي .

هذا من باب الدراسات اللغوية ؛ بمعنى أن هناك وسائل أخرى للاتصال بين المبدع والمتلقي كالرسم والنقش والموسيقى .

من هنا ظهر مصطلح الأسلوبية كمفهوم جديد في القرن " 20 " لصيق بالدراسات اللغوية ، ومن بين الممكن القول أن الأسلوب مهاد الأسلوبية لكنها تجاوزته ؛ فالبحث الأسلوبي هو تلك الملامح أو الثياب المتميزة في تكوينات العمل الأدبي وبواسطتها يكتسب تميزه الفردي أو قيمته الفنية .

مفهوم الأسلوبية :

فكما كان الحديث عن الأسلوب سيكون الحديث عن الأسلوبية

فالأسلوبية تعددت تعريفاتها بتعدد مواد دراستها واهتماماتها فمرة كان الاهتمام في الأدب باللغة وأخرى بالمبدع وما يختلج شخصيته من كل الجوانب وأخرى ثالثة بعملية التواصل التي تقف مرتكزة على القارئ أو المتلقي وتأثراته .

هذا ما أهمله خاصة علم الأسلوب التقليدي أو القديم ، فالدراسة الأسلوبية كواسطة بين اللغة كنظام وبناء وتركيبات والأدب كأثر وفن وإبداع ذات علاقة وثيقة بالبحث في أنماط التنويعات اللغوية العامة والتي يعمل المؤلف أو المبدع على إحضارها وإبرازها في العمل الأدبي .

والأسلوبية أو " علم الأسلوب " علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية ، فتميزه عن غيره ، وتعتبر الظاهرة الأسلوبية في الأساس لغوية .

وهي ترجمة للمصطلح الغربي ذي الأصل اللاتيني " STYISTICS "و " STYLUS " الذي يعني أداة الكتابة واللاحقة " LSTICS " تعني البعد العقلي المنهجي الموضوعي ، هذا ما ذهب إليه إبراهيم رماني في كتابه " مدخل إلى الأسلوبية .

هذه الكلمة اللاتينية كانت تعني مشكلة الكتابة إلى أن اكتسبت دلالتها الاصطلاحية وأصبحت تعني الطريقة الخاصة للكاتب في التعبير .

وجاء في لسان العرب : " الأسلوب يقال للسطر من النخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب و" الأسلوب "الطريق والوجهة والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء ، والأسلوب الفني يقال أخذ فلان من أساليب القول أي أفانين من القول ".

وقد برز هذا المصطلح خلال القرن التاسع عشر وتحدد مفهومه إلا في العقد الأول من القرن العشرين

ولقد أسهمت اللسانيات على يد " دي سوسير " إسهاما كبيرا في ظهور علم الأسلوبية خاصة على يد تلميذه " شارل بالي " " CHARLES BALLY " الذي بعث وأرسى قواعده ـ علم الأسلوب ـ سنة 1902 م ،لهذا نجده على ارتباط وثيق بالألسنية الحديثة .

وقد أجمع الكثير من علماء اللغة الحديثة أ، الأسلوبية تشكل علما قائما بذاته له مقوماته وأدواته الخاصة وكذا موضوعه ، ومن بين هؤلاء " جاكبسون " و" ميشال ريفاتير " و" ستيفن أولمان "و" باختين "

ويعتبر الدكتور " عبد السلام المسدي " السباق إلى نقل هذا المصطلح بخصائصه وترويجه بين لباحثين العرب ، ويترجم المسدي مصطلح " STYLISTIQUE " بالأسلوبية وهي " مفهوم البحث عن الأسس الموضوعية في حدود عقلانية ، كما تبحث عما يتميز به الكلام الفني من بقية مستويات الخطاب ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية إذ نعني بدراسة الخصائص اللغوية التي تنقل الكلام من مجرد وسيلة إبلاغ عادي إلى أداء تأثير فني ".

وقد قدمت تعاريف متنوعة في مشاربها مختلفة في اتجاهات أصحابها عن الأسلوب

فمن زاوية المتكلم أي الباث للخطاب اللغوي لكل نص أسلوبه الخاص يكشف عن فكر صاحبه ونفسيته ، فالمبدع يقوم باختياره وتجميع وتوزيع لغته حسب وجهات نظره المختلفة القائمة على تركيبات اجتماعية وأخرى اقتصادية تاريخية وجغرافية وحتى ثقافية عاملة على تكوين شخصيته .

من هنا جاز لنا القول أن الأسلوب أو علم الأسلوبية هو المؤلف بمكوناته المختلفة ، وهذا ما أكده " أفلاطون " حين قال وأكد أنه كما تكون طبائع الشخص يكون أسلوبه وهذا ما ذهب أليه " بيفون " على أن الأسلوب هو الإنسان نفسه وغيرهما ممن نظروا نظرة مزدوجة للمبدع كأثر ومصدر للعمل الإبداعي ولغته كنظام بنائي معين أراده هذا المؤلف للفردية والتميز من خلال اختباراته وتوزيعاته لتراكيب لغته .

وقد التفتت الأسلوبية أيضا لجوانب الأدب بجدية إلى عملية التواصل التي يشترك فيعها المؤلف والمتلقي في النص ، فكما أعطي جزء من الاهتمام بالمؤلف أعطي نفسه للمتلقي كدور فعال في العملية الإبداعية .

فمن زاوية المخاطب أي المتلقي للخطاب اللغوي ، فالأسلوب ضغط مسلط على المتخاطبين وأن التأثير الناجم عنه يعبر إلى الإقناع أو الإمتاع لهذا وجدناه في صلة دائمة ووثيقة بالعلوم الإنسانية الأخرى كاللغوية والاجتماعية وحتى النفسية والجغرافية والتاريخية .

فعلى الرغم من إغفال الكثير من الدراسات الأسلوبية القديمة للمؤلف والمتلقي إلا أنها تشير إليهما في ثنايا البحث لهذا أصبح من الضروري عرض حال لهما في كل الدراسات الحالية .

إن هدف علم الأسلوب هو الكشف عن تلك العلاقات المتبادلة بين الدال والمدلول ، هذا من الناحية اللغوية ،مما جعله يحتاج إلى مسارات تاريخية وأخرى نفسية اجتماعية وغيرها للوصول إلى بيت القصيد الذي من أجله وجد عمل أدبي معين .

هذا الكشف دفع بهذه الدراسة كما قلنا سابقا إلى النظر لنفس المتلقي اتجاه أي عمل أدبي ليكون مشاركا بذلك في أهداف العمل الأدبي ومراميه ، وبعبارة أخرى هو أن تضيف لفكر معين مجموعة من الملابسات تعمل على إحداث التأثير ، فاللغة تعبر والأسلوب يبرز من أجل التأثير .

هو ما ذهب إليه " ستاندال "وكذا "ريفاتير"RIFFATERRE

أما من الجانب الخطابي أو النص نفسه فالأسلوب عبارة عن طاقة تعبيرية ناجمة عن الاختيارات اللغوية ؛ بمعنى أخر هو اختيار الكاتب لتعابير معينة ووضعها في قوالب خطابية متميزة تجعل كلامه متفردا يميزه عن غيره هذا ما فنده " بيار غيرو "

فبصفة عامة هو " تلك الملامح أو الشيات المتميزة في تكوينات العمل الأدبي وبواسطتها يكتسب تميزه الفردي أو قيمه الفنية "..."أو ما يتجاوزه إلى تحديد سمات معينة لجنس أدبي بعينه "

إتجاهات الأسلوبية :

استفادت الأسلوبية من جهود معتبرة في الدراسات النقدية والتي اهتم فيها النقاد بتصنيف الاتجاهات الأسلوبية قصد الخروج بتحليل الخطاب الأدبي إلى دراسة وصفية دقيقة وتحليل علمي موضوعي مقنع .

وبحكم توجه مجموعة من الأسلوبين إلى مقاربة الظاهرة الأسلوبية بدءا بعلاقة المبدع بالنص ، وهنا كانت النظرة مرتكزة على مدى انعكاس شخصية المبدع في نصه هذا ما

جعلهم يحتاجون في دراساتهم إلى علوم إنسانية أخرى منها النفسية في بلورة هذه النفس المبدعة .

هذا أدى إلى وجود اتجاهات مختلفة للأسلوبية سوء ارتبطت بالنص ومنشئه أو متلقيه أو اقتصرت عليه فقط ومن أهم الاتجاهات :

1 ـ الأسلوبية التعبيرية : "شارل بالي" " 1865 -1947 م:

ظهرت الأسلوبية كاتجاه نقدي في القرن التاسع عشر على يد " شارل بالي " في النقد الأدبي الغربي ، لكن ملامحها لم تحدد إلا في القرن العشرين كمنهج نقدي مستقل بذاته ، حيث استفاد في التأسيس لهذا العلم من أستاذه " فاردينان دي سوسير " خاصة في بعض الانجازات اللغوية .

ركز " شارل بالي " في هذه الأسلوبية على الطابع الوجداني الذي يعتبر العلامة الفارقة في أية عملية تواصل بين الباث والمتلقي ، وقد اعتمد على اللغة الشائعة ، لغة التواصل اليومي ،دون اللغة الأدبية ، لغة الإبداع باعتبارها خطاب بسيط بعيد عن التعقيد ، معبر بصدق عن الأحاسيس والمشاعر التي تؤثر في المتلقي ، حيث نرى " بالي " في طرحه الأسلوبي أن العاطفة سلطان يسيطر على العملية اللغوية بغض النظر عن العقل ، معللا ذلك أن الإنسان في جوهره كائن عاطفي قبل كل شيء وأن اللغة هي الكاشف عن هذا الكائن .

وقد تأثرت المدرسة الفرنسية بأسلوبية " بالي" لتعرف اتساعا على يد " بيار جيرو " وغيره .

كما كان لها صدا في النقد العربي فقد ترجمت أعماله ـ باليـ على يد الكثير من الباحثين العرب منهم " شكري محمد عياد " " إذ ضمن كتابه " اتجاهات البحث الأسلوبي ترجمة لفصل من كتاب " شارل بالي " من كتابه " اللغة والحياة " وكذا " صلاح فضل " و" حمادي صمود " كلهم حاولوا الكشف عن آراء " بالي " في الأسلوبية مترجمين أقواله ومقولاته عنها .

وعلى حسب ما سبق ذكره فالأسلوبية التعبيرية هي الكشف عن الطاقات التعبيرية الموجودة داخل اللغة

فالتعبيرية عمل تطبيقي علمي يعمل على إعطاء الإطار الأساسي الأسلوبي للغة معينة من خلال تحديد الموقف الكلامي مطبقا نتائج علم الأسلوب العام الذي يقوم على " الصوت و الكلمة والتركيب ".

2- الأسلوبية النفسية 1887- 1960 م

يعتبر العمل الإبداعي المدخل الأساسي إلى عالم المبدع الداخلي وكذا نفسه المبدعة وذلك من خلال المعجم الفردي والتراكيب الخاصة .

ومن رواد هذا الاتجاه " كيوسبيتزر " والذي يؤكد أن العمل الإبداعي ترجمة لذاتية ونفسية المبدع ، فالأسلوبية النفسية تبحث في التحولات اللغوية وتتبعها بدقة على يد المبدع من أجل خصوصيته وتفرده وكأنها ـ الأسلوبية النفسية ـ أشبه بدراسة السير الذاتية للمبدعين والكتاب ، وذلك باستنطاق لغة النص وما تحمله من دلالات نفسية معينة .

وقد تجلت الأسلوبية النفسية كباقي الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي المعاصر فراح الباحثون العرب يترجمون ويتأثرون بآراءها ومبادئها ومن بينهم : عبد الفتاح صبور ، صلاح فضل ، حمادي صمود ...

3 ـ الأسلوبية البنيوية " الوظيفية ":

ينطلق البحث الأسلوبي البنيوي في تحليله للأثار الأدبية من خلال البنى اللغوية المشكلة لها ، فهي تؤسس منهجا غايته دراسة النصوص انطلاقا من لغتها وما تحدثه اللغة من تجاور مفرداتها وتراكيبها ، لهذا فهي ترى أن المنابع الحقيقية للظاهرة الأسلوبية ليست فقط في اللغة وإنما أيضا في نمطيتها .

تركز الأسلوبية البنيوية على مدى تناسق أجزاء النص ورصد انسجامها ، كما تعتني بعلاقة التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص وبالدلالات والإيحاءات ، لهذا فهي تأخذ بعدا ألسنيا قائما على علمي المعاني والصرف وعلم التراكيب .

وقد وجد هذا الاتجاه أقلاما نقدية عربية حاولت أن تخوض في غمار البنيوية مترجمين وشارحين ومستكشفين ومن بينهم " فؤاد أبو منصور " النقد البنيوي الحديث " عبد السلام المسدي " محاولات الأسلوبية الهيكلية ".

4 ـ الأسلوبية الإحصائية :

وتعتمد هذه الأسلوبية على الإحصاء الرياضي للدخول إلى النصوص الأدبية ، حيث يتم فيها إحصاء وإبراز معدلات التكرار في مختلف المعاجم سواء أكانت إفرادية أو تركيبية أو إيقاعية ، وهذه العملية ضرورية في الكشف عن القدرات الفردية للمبدع ومدى اختلافها عن قدرات مبدع أخر ومن أهم رواد هذا المذهب " جون كوهن "

وقد تجلت الأسلوبية الإحصائية بوضوح في النقد العربي المعاصر حيث برزت في الترجمة والشروح وكذا محاولات التطبيق على النصوص الأدبية ومن بين أهم روادها العرب صلاح فضل ومحمد العمري .

من هنا نجد أن الأسلوبية باتجاهاتها نظرة مهمة في باب النقد الأدبي ، فهي انحراف عن المعيار المألوف والمتداول في بناء الكلام الإبداعي ، والوحيدة إلى حد ما في رصد مكامن الجمال الفني في النصوص .

هذا ما جعل لها مقومات تساعد في الكشف عن بواطن الإبداع والانحراف من أجل إبراز تفرد نص عن أخر وتميز أسلوب مبدع عن غيره من المبدعين

وهذه المقومات هي :

- ***الاختيار :***

ارتبط الاختيار بمفهوم الأسلوب واعتبر حدا فاصلا بين الجمالي وغير الجمالي إذ يذهب الكثير من الأسلوبيين إلى أن عملية الخلق الأسلوبي تستوي في الاختيار ، ويكون هذا الاختيار للكلمة أو العبارة أو التركيب التي يراها المبدع أصدق وأسلم في توصيل ما يريده وبهذا يكون الأسلوب إلهاما لا عفويا .

فالاختيار يقع على المعجم اللفظي وكذا التركيب النحوي هذا ما أكده " أحمد الشياب " حين قال أن " طريقة الكاتب في التعبير عن الأفكار واختيار الكلام بما يناسب مقاصد صاحبه ويعتمد نظم الكلام أولا على اختيار الكلمات لا من ناحية معانيها فقط بل من ناحيتها الفنية بما توحيه من أفكار ومن ناحية وقعها الموسيقي وقد تألقت كلمة مع كلمة ولا تألفت مع أخرى ..."

- ***التراكيب*** :

تقاس عملية التركيب بالرجوع إلى المزاج النفسي للكاتب وثقافته الخاصة ، بالإضافة إلى خصائص كل عصر وميزاته ، وهي على صلة وثيقة بسابقتها " الاختيار " فمن خلالها يستقيم قوام الخطاب الأدبي لهذا كل محل اهتمام الكثير من النقاد الغربيين وكذا العرب

وظاهرة التركيب كمستوى من مستويات التحليل الأسلوبي تهتم بدراسة الجمل من حيث الطول والقصر وكذا أركان التركيب فيها من فعل وفاعل وغيرهما ومبتدأ وخبر وكذا عناصر الربط ودلالاتها ، والترتيب ،والتقديم والتأخير ...

- ***الانزياح*** :

وهو ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية " ECART " على أن المفهوم ذاته في العربية ويعني " العدول " أي التجاوز ، أما من الناحية الأسلوبية هو خروج المؤلف عن المألوف فهو القدرة على اختراق المألوف سواء أكان هذا الاختراق صوتيا أم صرفيا أم نحويا أم معجميا أم دلاليا .

ومن ثم يحقق النص انزياحا بالنسبة لما عليه فيخرج بذلك النص عن النفعية البلاغية إلى النفعية الجمالية .

إن جمالية الانزياح تكمن في إنتاج لغة فنية إبداعية نابعة من اللغة المعجمية العادية المتداولة لتدفع بالقارئ إلى الإقبال على العمل الفني من أجل تذوقه ومدارسته إلى درجة الاستمتاع والإقناع به فنيا وجماليا .

من هنا تعددت مسمياته " علم الأسلوب " وهذا ما أكده الدكتور صلاح فضل في كتابه .

فطور أعطاه اسم " فن الشعر " بنظرته للعواطف وذاتية المبدع وكذا الفنيات المستصاغة في الأثر الأدبي ، وطور آخر سماه " سيميولوجية العمل الأدبي " وذلك بالنظر للبناء اللغوي التركيبي المجرد حتى أن بعض قضاياه أصبحت تدرس في مجال " نظربة النص " هذا ما قادنا للحديث عن علاقته بالخطاب الأدبي وعلى أن البلاغة واسطة مهمة بينهما " الأسلوب والخطاب "

مفهوم الخطاب عند العرب والغرب :

1 ـ التعاريف المعجمية :

على الرغم من عدم توحد المصطلح نجد له تعريفا في المعجم القديم في قولنا " خطب فلان إلى فلان فخطبه و أخطبه أي أجابه "

والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة ، خطابا وهما يتخاطبان

والخطاب كذلك " ما يكلم به الرجل صاحبه ونقيضه والجواب فصل الخطاب

كما نجد في بعض المعاجم العربية الحديثة بعض الدلالات والمترادفات وما يهمنا منها اعتبار " الخطاب كلاما يحمل دلالات معينة " خاصة وأن مفاهيم الخطاب الحديث في التراث العربي لم تتبلور ولم تبرز إلا في بعض الدراسات اللغوية الفقهية لبعض علماء

اللغة أمثال عبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز " و " الزمخشري " في " أساس اللغة " وكذا الجاحظ عبر تنظيراته في " البيان والتبين " مع بعض وقفات بن خلدون في المقدمة وغيرهم ...

هذه الأخيرة التي حظيت بكثير من العناية من قبل بعض العلماء أمثال الباحث اللغوي المغربي " علي أمليل " الذي ميز فيها بين نوعين من الخطاب :

ـ خطاب يحمل أمرا مقدما شرعيا أو خبرا من السماء تصديقه أمر وواجب .

ـ خطاب يخبر عن واقعات من عالم الطبيعة ولكل خطاب مقياس للصدق تبعا للعالم الذي يحيل إليه ، عالم الغيب أو الطبيعة .

كما لايفوتنا نظرة الدكتور محمد مير نجيب اللبدي للخطاب حينما قال :" الخطاب حال من حالات الكلام وهو قسيم التكلم والغيبة ويأتي في ترتيب الأحرفية والحضور ثانيها ، والخطاب لا يتحقق إلا بالمشاركة "

هذا ما يقودنا للقول أن مفهومه ينقسم إلى مدلولين إثنين :

ـ أحدهما يلفظ الموضوع لذلك كضمائر الخطاب المتصلة أو المنفصلة وهي "أنت وفروعه "و" إياك وفروعه "و "التاء".

ـ والثاني التركيبات الكلامية التي توجه مضموناتها إلى المخاطبين وذلك كشأن أي كلام يوجهه المخاطب إلى مخاطبه .

وعلى هذا الأساس " تكون دلالة الأولى على الخطاب دلالة ذاتية اللفظ ودلالة الأخر عليه دلالة يعنيها السياق والمقام "

ومما سبق نجد الدكتور " عبد الملك مرتاض " يتفق مع الدكتور " محمد مير حين قال في كتابه " بنية الخطاب الشعري " أن الخطاب نسج من الألفاظ " حيث النسج عنده عبارة عن نظام لساني كلامي مضبوط بخواص معينة " نحوية ، صرفية ، ...

إضافة هناك تعريف أخر ل " جميل صليبا "في معجمه الفلسفي حيث قال :"القول " DISCOURS " هو الكلام والرأي والمعتقد وهو عملية عقلية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ أو القضايا التي يرتبط بعضها ببعض ، والقول مرادف للمقال والمقالة وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال عنوان كتاب لابن رشد ".

هذا ما يؤكد أن "جميل صليبا " يرى أن الخطاب هو فعل القول وهو مرادف للكلمة الفرنسية " DISCOURS "

من هنا ننتقل في اتجاهنا إلى الضفة الغربية ، حيث نجد بعض المعاجم عرفت هذا المصطلح الكبير بانجازاته ودراساته ، ها هو المعجم لاروس " LAROUSSE " والمعجم " ميكرو روبير " " MICRO REBERT " حين أقرا أن كلمة خطاب ترادف كلام ومحاضرة وموعظة وبحث ورسالة ....

وتجدر الإشارة إلى استخدام مصطلح " الخطاب " في الدراسات الغربية حين عرفه " دي سوسير " " F DESAUSSURE " كأول وهلة على أنه الكلام وهو المعنى المعروف به في اللسانيات البنيوية ، أما في لسانيات الخطاب فإنه يعد "موضوع المعرفة الذي تسعى إلى تحقيقه الألسنية الخطابية ، يرادف الخطاب من هذا المنظور للنص "

والخطاب أيضا هو :" مجموع قواعد تسلسل وتتبع الجمل المكونة للمقول " وأول من اقترح دراسة هذا التسلسل هو اللغوي الأمريكي " هاريس " HAARISS" إذ يرى أن الخطاب في مجمله هو " إقامة شبكات المعادلات بين الجمل حيث تسير مدلولات هذا المصطلح في الدراسات الغربية في خطين رئيسيين الأول متمثل في المبحث اللغوي الأسلوبي المعروف بتحليل الخطاب والثاني بما يعرف بالدراسات الثقافية .

لهذا فالخطاب هو كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو ملفوظا إلا أن هناك عالم فيلسوف يدعى " غرايس "GURAIS " " يؤكد أن للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو ظاهرة ظن ومثال ذلك أن يقول شخص لأخر : ألا تزورني ؟ فلا يفهم المتلقي من الجملة أنها سؤال على الرغم من أن ذلك هو شكلها النحوي وإنما يفهم أنها دعوة للزيارة " ، فالخطاب له صلة مباشرة بالمقام أو السياق .

وتجدر الإشارة إلى استخدام مصطلح الخطاب في الدراسات العربية التي يعود الفضل للباحثين المغاربة في استقرار هذا المصطلح في بحوثهم الحديثة لقربهم من القارة الأوروبية ـ خاصة ـ أمثال التونسي " عبد السلام المسدي " والجزائري " عبد الرحمان الحاج صالح " والمغربي " محمد مفتاح " و"محمد برادة " وذلك من خلال بوثهم اللسانية وكذا الدراسات النقدية الأدبية .

هذا ما يقودنا للخوض في هذا المصطلح في المجال اللساني .

2 ـ التعاريف الألسنية :

بعد تطور الدراسات اللسانية منذ " سوسير " إلى يومنا هذا والذي يعتبر أساسا لكل هذه الدراسات وعمله الجليل في التفريق بين أهم المصطلحات التي قامت عليها اللسانيات من لسان " LANGUE " واللغة " LANGAGE " وكذا الخطاب " DISCOURS " والكلام " PAROLE "نستخلص أن الخطاب لسانيا هو " الكلام في حالة تحويله من حمل الفكرة التي قلناها ؛ أي أنه قول باتجاه فعل ، والقول الذي يبعث ويحث على فعل أو حركة ما "

كما وضعوا له تعاريف أخرى على اعتباره " مجموع التحققات الشفهية أو المكتوبة كالتي يمكن أن تتمثل في كتاب أو جريدة أو في إذاعة ...

فالخطاب في المفهوم السوسيري مرادف للكلام

أما المدرسة الفرنسية فهي ترى أن مفهوم "الخطاب " يقابل مفهوم المقول ؛ أي الإنتاج النهائي للعمل الإبداعي أو غيره مقترنا بظروف وشروط إنتاجه .

أما " بنفينيست " " BENVENISTE " يرى الخطاب هو كل مقول يفترض متكلما ومستمعا لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما فهو ينظر إلى الخطاب على أنه ملفوظ في مقام تواصلي ، هذا التواصل الذي يحتاج إلى متكلم وسامع وقناة اتصال وشفرة انفعالية إقناعية عاطفية لغوية .

إن تعدد مفاهيم " الخطاب " أدى إلى صعوبة القبض على تعريف محدد له ،لهذا ذهبت الناقدة اللبنانية " يمنى العيد" بإضافة مصطلح جديد للخطاب ، ضروري لعملية الاتصال ألا وهو مصطلح " القول " ،حيث قالت :" لئن كان الكلام فرديا يحمل صفة الفوضوي والمتوحش ، فالخطاب هو التوجه إلى الأخر بمرسلة ، وإن القول هو نبرة أو كتلة لها حرارة النفس ورغبة النطق بشيء " ...يقول .." ليس هو تماما " الجملة " ولا النص بل هو فعل يريد أن يقول "

كما يراه " عبد الرحمان الحاج صالح " على أنه " ليس فقط تلفظا يجسد الصراع ، بل هو الجوهر الأساسي لصراع الإنسان " ؛ بمعنى الخطاب هو العلاقة بين الأنا و الأنا الأخر .

3 ـ التعاريف البنيوية :

إن التعاريف البنيوية تعددت هي أيضا بتعدد المدارس والرؤى

يرى " جوزيف ميشال شريم " أن الخطاب مصطلح يرادف مصطلح السرد والذي يعرفه بقوله " كناية عن مجموع الكلام الذي يؤلف نصا نثريا أو شعريا مكتوبا أو غير مكتوب ، يتيح للكاتب أن يتصل بالقارئ "

لهذا فالخطاب ينتج باستمرار ولا يتوقف بموت كاتبه ومن الجدير بالذكر هنا أن نذكر أن تودوروف "TODOROF ينظر إلى الخطاب على مستويين : الخطاب باعتباره تفسيرا وتوضيحا وشرحا ، والخطاب باعتباره إنشاء أي الانتاج الذي يفرز الشعرية POETIQUE

هذا ما يقودنا إلى عبد الملك مرتاض حين عرف الخطاب من الناحية الشعرية حين قال " والخطاب الشعري في مذهبنا هو كل إبداع أدبي بلغ الحد المقبول ونال إعجاب أكثر من ناقد أي كل إبداع أدبي نال من إجماع الناس على جودته فيصنف في الخالدات من الأثار الفكرية "

وكخلاصة للقول أن استعمال مصطلح " الخطاب " في العديد من الدراسات والمجالات أدى إلى تعدد المفاهيم حوله حسب آراء وتعدد تصورات المهتمين به كاللسانيين واللغويين والناقديين وغيرهم وفق تخصصاتهم وثقافاتهم

فمفهوم الخطاب في هذه الحالة قد ارتبط بالعديد من المصطلحات كالكلام والنص وغيرهما ف " كل حقل ثقافي ينظر إليه من زاوية حاجته له ، فاللسانيون يرون فيه اللغة حالة فعل " كلام " والمفكرون والفلاسفة يرونه إيديولوجيا والنقاد يرونه ممارسة أو شكلا أدبيا " لكن هناك خط فاصل بينه وبين المصطلحات للتمييز والتفريق

حتى وإن اختلفت التعريفات إلا أنها تتفق على أن الخطاب عبارة عن بنية تتجاوز حدود الجملة غرضها التأثير في متلقيها .